القيم الإنسانية وقضايا الإبداع في النصوص المدرسية

قراءة في كتاب «لغتنا الجميلة» للصفين الرابع والتاسع

روز شوملي مصلح

مقدمة:

أقرت وزارة التربية والتعليم العالي هذا العام (2004/2003) تطبيق المرحلة الرابعة من خطتها للمنهاج الفلسطيني لكتب الصفين الرابع والتاسع الأساسيين. وفي مقدمة الكتب، إشارة إلى أن هذه الكتب قابلة للتعديل والتطوير كي تتلاءم مع التغيرات في التقدم العلمي والتكنولوجي ومهارات الحياة.

وفي مقدمة كتاب اللغة العربية «لغتنا الجميلة» للصف الرابع الأساسي، إشارة إلى حرص واضعي المنهاج على أن يكون «مناسباً للعمر الزمني والعقلي للطلبة».

يتكون الكتاب من 12 وحدة هي: العائلة السعيدة، والعنب، وصلاح الدين الأيوبي، والطائرة الورقية، وأمثال شعبية فلسطينية، والدجاجة المسحورة، والقمر، والعمل الشريف، والرسول والأسيرة، واللدائن (البلاستيك)، والنعامة، ونوادر وطرائف. وتشرح المقدمة الأسلوب الذي استخدم من حيث الاستناد إلى الوحدة المتكاملة، حيث يبدأ الدرس بنص تتبعه أسئلة للفهم والاستيعاب، ثم تدريبات لغوية، يلي ذلك تدريب على الكتابة الإملائية المنظورة، ثم نشيد أو نص للحفظ، ثم التعبير بنوعيه الشفوي والكتابي، ويختم الدرس بين الحين والآخر بورقة عمل أو نشاط يهدف إلى استرجاع المعلومات التي حصل الطالب عليها في الدرس وتوظيفها في حياته.

وبما أن النصوص هي الأساس الذي بنيت عليه الوحدات، من الضروري مراجعة النصوص المختارة، والمعايير التي أخذت بالاعتبار عند تحديدها، ومدى ملاءمتها للهدف الذي وضعت من أجله.

قراءة سريعة في معايير الاختيار وتطبيقاتها

كتاب الصف الرابع

في مقدمة كتاب الصف الرابع، ذكرٌ لبعض المعايير التي اعتمدت في اختيار النصوص وكتابة الوحدات. وهذه المعايير ستشكل الأساس الذي ستبنى عليه محاكمة النصوص. وتتلخص هذه المعايير فيما يلي:

- تلبية مهارات الحياة.
- مواكبة التغيير.
- مناسبة العمر الزمني والعقلي للطفل.

ولم يرد في مقدمة الكتاب ذكر لمعيار القيم الإنسانية على الرغم من ذكره في مقدمة كتاب الصف التاسع الذي نعتقد أنه معيار على قدر كبير من الأهمية في تنشئة الطفل الفلسطيني. وعليه، فسوف نناقش أهمية تضمين هذا المعيار في كتاب الصف الرابع.

تلبية مهارات الحياة

ما هي مهارات الحياة التي ستلبى من خلال هذا الكتاب؟ هل هي مهارات الحياة بمعناها الواسع الذي حدده مؤتمر التعليم للجميع الذي انعقد في جمتيان، أم هي مهارات الحياة حسب المفهوم الذي حددته منظمة اليونيسيف، والذي يقتصر على الجوانب الانفعالية

الاجتماعية، والذي طبق مع وزارة التربية والتعليم ضمن برنامج الصحة المدرسية، أم هي مهارات الحياة الخاصة باللغة التي تتطلب استخدام اللغة في الحياة اليومية؟ وهل قراءة النصوص المختارة وحل التمارين المرافقة تكفي لتسليح الطفل بالمهارات القرائية الضرورية لمساعدة الأطفال على شق طريقهم في الحياة؟ ولأن هذا هو الإطار الذي أجده أقرب للتعريف الذي استهدفه الكتاب، سوف أتعامل مع النصوص الموجودة ضمن هذا الإطار.

اقتصرت النصوص المختارة على نوعين من النصوص، هما الشعر بشكله التقليدي، و النثر أيضاً بشكله التقليدي، تماماً كما كان الحال منذ نصف قرن. فأين هي مهارات الحياة التي ستواكب التغيير. يتخرج أطفالنا ويغادرون بالطائرة، وهم لا يعرفون كيف يقرأون جدول الإقلاع أو الإياب. يتخرجون من المرحلة الأساسية وهم لم يتعرضوا لخبرة قراءة استمارة بسيطة بهدف تعبئتها. القراءة يجب أن تتناول نصوصاً متنوعة تغطي المهارات المختلفة الضرورية للحياة. ابتداء من قراءة القصة، والمقالة، وقراءة القصيدة بأنواعها العمودية، وقصيدة التفعيلة، وقصيدة الشعر الحر، مروراً بقراءة الجدول، أو قراءة نص في جريدة، أو تصفح لائحة طعام، أو قراءة تعليمات مطبوعة تبين كيفية تحضير شيء ما، أو كيفية تركيب مجسم ما، وكيفية قراءة خارطة إلى آخر ذلك من قراءات من الضروري التعامل معها من أجل أن تسهل حياة الطفل فيما بعد.

ومهارات القراءة أيضاً تتطلب إتقان السرعة في القراءة، وهذا يتطلب تدريباً على القراءة السريعة. وهذا يعني تدريباً على التصفح السريع من أجل الحصول على المعنى الإجمالي، أو التصفح السريع من أجل البحث عن شيء محدد يتوقف البحث بعد الحصول عليه. والسرعة في القراءة بغرض الفهم لا تعني التوقف عند كل كلمة. على الطفل أن يكتسب مهارة قراءة الجملة التي تحمل المعنى، أو حتى الفقرة. ومن هنا أهمية اختيار المفردات التي تساعد على القراءة السريعة، فلا تعيق عملية القراءة، وفي حال اختيار مفردات قد تكون صعبة، يجب أن يتعلم الطفل مهارات معرفة المعنى من خلال السياق، وهذه مهارة ضرورية للقراءة من أجل الحصول على المتعة المنشودة، وعدم التوقف من أجل البحث عن الكلمة الصعبة.

ومن هنا تأتي أهمية اختيار النص من أجل أن يحقق المهارة القرائية المطلوبة للأغراض المختلفة. فالنص الذي يصلح للتصفح السريع لا يناسب، بالضرورة، القراءة من أجل الفهم والاستيعاب، والنص الذي يلائم تطوير سرعة القراءة، قد لا يتناسب مع النص الذي يتم اختياره من أجل تطوير مهارة القراءة الناقدة، وهكذا. أما بالنسبة لكتاب «لغتنا الجميلة»، فقد كان اختيار النصوص محكوماً أساساً بالمحتوى التعليمي الذي لا يتجاوز حدود الفهم والاستيعاب، ولم يتخطاه إلى مهارات قرائية تساعد على القراءة الناقدة أو على الإفادة من هذه القراءة في مجالات الحياة المختلفة كما أراد الكتاب. وهذا نمط سائد في اختيار معظم النصوص، ليس في كتاب الصف الرابع الأساسي فحسب، بل في اختيار نصوص الصف التاسع الأساسي أيضاً.

مواكبة التغيير

أما بالنسبة للمعيار الثاني الذي طرحته المقدمة وهو مواكبة التغيير، فبالإضافة إلى ما ذكر حول مهارات الحياة التي تساعد الطالب على حل المشكلات التي تواجهه، والتي يفرضها التطور المجتمعي، فإن مواكبة التغيير تستوجب أيضاً تقديم نصوص تأخذ بعين الاعتبار التغيير الذي حصل في مجال الأدب. من المفيد معرفة ما كان قائماً في العصور الغابرة، لكن من المفيد أن تعبر النصوص عن حركة الأدب ليس فقط زمنياً، بل في نوعية النص نفسه. وعليه، لا يكفي اختيار نص من العصر الجاهلي ثم الإسلامي، ثم الأموي، حتى نصل إلى العصر الحديث، علينا اختيار نصوص تمثل التغيير الفعلي في تطور الأدب. مثلاً، في الشعر، من المهم إبراز القصيدة بشكلها الكلاسيكي، لكن من الضروري أيضاً، إبراز قصيدة التفعيلة، وقصيدة الشعر الحر. على الطالب أن يرى التنوع في القصيدة كما يرى التنوع في بحور الشعر. هذا التنوع والتجديد في الشعر يساعد في تقبل الجديد ويساعد على الإبداع والتجديد، وعلى عقد المقارنات وتطوير الحس النقدي عند الطالب منذ الصغر. التنوع والاختلاف يثريان التجربة الإنسانية ويجعلان قبول الجديد ممكناً، وأيضاً يسهلان تقبل الاختلاف.

مواكبة التغيير لا تعني الإطلاع على ما استجد في المجال العلمي فقط، واختيار نص يتحدث عن ذلك، بل التجديد والتغيير مطلوب معايشته في المجالات كافة. والأحرى بدرس اللغة الجميلة أن يبرز هذا التغيير والتجديد في الأدب بنوعيه الشعر والنثر.

مواكبة التغيير لا تعني الإطلاع على ما استجد في المجال العلمي فقط، واختيار نص يتحدث عن ذلك، بل التجديد والتغيير مطلوب معايشته في المجالات كافة.

مناسبة النص للعمر الزمني والعقلي للطفل

أما المعيار الثالث الذي أشارت إليه المقدمة، فهو مناسبة النص للعمر الزمني والعقلي للطفل. من الواضح أن النصوص التي تم اختيارها للصف الرابع هي أكثر سهولة من النصوص التي تم اختيارها للصف التاسع. لكن هل كانت النصوص ممتعة؟

أعتقد أن متعة الطفل هي شرط أساسي في اختيار النص، والمتعة تصبح أكثر إلحاحاً كلما صغر عمر الطفل. والمتعة تشترط أن يكون النص وطوله مناسبين لعمر الطفل وقدرته القرائية. على النص أن لا يكون درساً تعليمياً، وإن كان ذلك لا يمنع من أن تكون للدرس رسالته المخفية. إن التوجه التعليمي في اختيار النص هو رؤية البالغ، التي طالما عكست نفسها في اختيار النصوص، وجردتها من المتعة، الأمر الذي جعل من بعض النصوص مادة غير مستحبة وعكس نفسه على رغبة الطفل في القراءة. فمن أجل أن يكون النص ممتعاً، عليه أن يأخذ بعين الاعتبار قدرة الطفل المحدودة على التركيز والانتباه، وبخاصة في الظروف التي يمر بها أطفالنا. كما ينبغي في اختيار النص مراعاة حاجات الطفل في هذه المرحلة العمرية، مثل علاقته بالأصدقاء، وكيف يقول لا عندما يتطلب الأمر ذلك، وكيف يتعامل مع الغيرة مع الإخوة والأتراب. كما أن للطفل الفلسطيني حاجات خاصة يجب عدم تجاهلها مثل عدم الشعور بالأمان، وخوفه من فقدان عزيز، إلى آخر ذلك من مخاوف تحد من قدرة الطفل على التركيز.

ولأن اللعب هو الطريق الأمثل للتعلم، فمن الضروري أن يراعى التقليل من التمارين التي تتطلب إجابات محددة، والتركيز على الأنشطة التي تعطي مدىً أوسع للإجابة، وتسمح بالعمل الجماعي الذي يجعل من توزيع الأدوار لعبة يستمتع بها الأطفال. واللعب له قوانينه التي من خلال ممارستها، يتعلم الطفل كيف يتعامل مع الآخرين، يستمعون إليه، ويستمع هو بدوره لهم. اللعب أساسي للتعلم، وعليه، من المفيد أن لا تكون الإجابة عن الأسئلة المرافقة للنص مرهقة وطويلة، فتفسد متعة القراءة. مثلاً، الحروف المتقاطعة، وتركيب الكلمات يمكن أن يكونا مثالين على كيفية تحويل اللغة إلى عملية لعب، وتجعل من سحر الكلمات واستخداماتها المختلفة أساساً في نمو الطفل اللغوي.

والخبرات القرائية يمكن تخطيطها وإثراؤها بحيث تطور معارف الطفل، وتساعد على تذوقه للغة والأدب. ولا أجد أفضل من الأدب وسيلة يمكن استخدامها من أجل دب الحياة في النص، وجعله أساساً للانطلاق في تعلم اللغة وتعليمها. الطفل بحاجة إلى أن يستمتع بالأدب، ويقدر النصوص المختلفة، أكانت نثراً، أم شعراً. وربما تكون النصوص التي ترد بشكل قصصي هي الأفضل في شد الطفل إلى القراءة، وهنا تأتي أهمية الطرائف التي أدرجها الكتاب، فهي تتميز بالمتعة وفي الوقت نفسه تقول شيئاً لقارئها. القصيدة أيضاً بإيقاعها وإيجازها ضرورية للطفل، وهنا تكمن أهمية القراء السليمة من قبل المعلم كي تظهر الموسيقى في القصيدة، ويبرز المعنى.

اختيار النصوص مهم في الترغيب بالقراءة، والتحقق من الاختيار ضروري من أجل أن يشكل النص الطعم الذي يشجع الطفل على القراءة. هل يُرغب الكتابُ المدرسي الطفلَ بالقراءة أم يرهبه منها؟ هل النصوص المختارة تقتل متعة القراءة أو تحفزها؟ هل النصوص تساعد الطفل على الولوج إلى عوالم أخرى عبر القراءة، أم أنها عبء ثقيل، ويزيد من ثقله التمارين التي تفترض إجابات لا تحتمل الاختلاف.

على النص أن يسمح بتفاعل الطفل معه. يتجاوب معه، يأخذ منه معنى، ويضيف إليه معنى. الأدب يعطي مجالاً للاكتشاف، يمكن للطفل أن يشعر بأنه يكتشف شيئاً من خلال القراءة، والدراما قد تساعد الطفل في ذلك، وتحول اللغة إلى لعبة ممتعة.

النصوص والقيم الإنسانية والقضايا الاجتماعية:

صحيح أن القيم الإنسانية والقضايا الاجتماعية لم تطرحها مقدمة كتاب الصف الرابع كمعيار في اختيار النصوص، لكني سوف أتناولها كما وردت في النصوص المختلفة لما لها من أهمية خاصة، وأن الكثير من الرسائل القيمية التي يوحي بها النص قد تترك أثرها على النظام القيمي للأطفال.

متعة الطفل هي شرط أساسي في اختيار النص، والمتعة تصبح أكثر إلحاحاً كلما صغر عمر الطفل. والمتعة تشترط أن يكون النص وطوله مناسبين لعمر الطفل وقدرته القرائية.

صحيح أن بعض النصوص تطرح رسائل إنسانية واضحة من حيث المحتوى، لكن ماذا عن القيم النمطية التي تبرز بشكل مباشر أحياناً، وبشكل غير مباشر أحياناً أخرى، ما قد تترك أثرها على الأطفال خاصة، وأن أحد المعايير التي وضعها الكتاب هو مواكبة التغيير؟ فما كان مقبولاً في العصر الجاهلي، لم يعد مقبولاً في العصر الحديث. والعلاقة التي تحكم الأسرة آخذة في التغير باتجاه أكثر ديمقراطية.

مثلاً، في قصة العائلة السعيدة، والتي تتحدث عن

قيم جميلة مثل الإيثار، وتقدير كل فرد لجهد الآخر في العائلة، نرى أمينة، وهي الأم، عائدة من الحقل، تعطي ما قطفته من حبات تين ناضجة لابنها سمير كي يغسلها ويأكلها، لكن سمير يفكر بأبيه الذي يتعب في الحقل، ويأخذ حبات التين إليه، والذي بدوره يفكر بالأم ويعيد حبات التين للأم التي تقوم بغسلها ووضعها على مائدة الطعام.

جميل أن يفكر كل من أفراد العائلة ببعضهم البعض، لكن في النهاية، تقوم الأم بغسل التين ووضعه على مائدة الطعام، مكرسة الصورة النمطية للمرأة التي كرستها المناهج السابقة، والوحدة لا تطرح أبداً مسألة عمل الأم في الحقل للنقاش، كما لا تطرح عمل الأب في المنزل للنقاش. وعلى الرغم من أننا نعرف أن أمينة قد تعمل في الحقل، أسوة بكثير من النساء في الريف، فإن هذا العمل لا يحتسب، ونعرف أن الأب لا يعمل في البيت. الأم تعود مجدداً إلى الصورة التقليدية، حيث تقوم هي بغسل التين وتهيئته للأكل، وكان من الممكن أن يقوم سمير بغسل حبات التين أو الأب، وبذلك تكسر الصفة النمطية لدور المرأة. كان من الممكن أن تطرح وحدة «العائلة السعيدة» موضوع عمل المرأة في الحقل والمنزل، وأهمية مشاركة جميع أفراد الأسرة في العمل المنزلي، وبالتالي يعطى المجال للحديث عن أهمية الديمقراطية في الأسرة.

وبالنظر إلى الرسومات التوضيحية، يتبين أن الأسرة لها ولد واحد، فهل هذه هي رسالة لتنظيم الأسرة؟ أم أنها جاءت دون قصد. ولماذا لا يكون عدد أفراد العائلة موضوع نقاش من حيث العلاقة بالمستوى الاقتصادي والتعليمي في الأسرة؟ هذه بعض الأفكار التي يمكن تضمينها في الأنشطة المرافقة للوحدة، وهي من المسائل التي طرحتها وزارة التربية والتعليم ضمن مشروع التربية الشمولية في نحو مائة مدرسة للذكور والإناث. لكن الوحدة لا تتطرق إليها، ولا تسير أبعد من النص.

أما في وحدة «الطائرة الورقية»، فالأصدقاء الثلاثة ذكور، وهم يتعاونون في صنع طائرة ورقية، ولكن من قال أن الطائرة الورقية حكر على الذكور!؟ لماذا لا تكون فتاة أو أكثر مع الأصدقاء. هنا نقدم فكرة الاختلاط بين الذكور والإناث، والتي يمكن أن تطرح بقوة مسألة الطفلة الفتاة، وحقها في فرص متساوية.

وفي وحدة الأمثال، صورة لسيدة تعد الطعام، ولرجل يعمل بالفأس في حقله، وفي ذلك أيضاً تكريس للصورة النمطية عن المرأة على الرغم من أن واقع الحال غير ذلك، حيث تعمل المرأة الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الرجل في فلاحة الأرض، وفي مجالات أخرى خارج المنزل.

في وحدة صلاح الدين الأيوبي، هناك مشكلة في النص من حيث أنه لا يبين صلاح الدين محرراً، كونها لا تبين الفرنجة كمحتلين. وهذا شرط ضروري أن يكون مذكوراً في النص. نحن نقاتل الاحتلال.

أما الوحدات المتعلقة بالنصوص التي تتحدث عن موضوعات علمية، وهي العنب، والقمر، واللدائن والنعامة، فهي تتسم بالجمود، ليس فقط من حيث عدم قدرتها على التشويق، بل أيضاً من حيث أنشطتها التي لا تذهب أبعد من النص. كان من الممكن أن تطرح الأنشطة مواضيع مهمة عن البيئة وتلوثها، وعن حماية البيئة الطبيعية، وعن العلاقة ما بين الدول فيما يتعلق بالاستيراد والتصدير، وكيف أن العالم أصبح صغيراً بسبب التقدم العلمي والتكامل ما بين الدول، وهذه المواضيع كلها طرحها مشروع التربية الشمولية الذي قامت به اليونيسيف مع وزارة التربية.

وفي وحدة صلاح الدين الأيوبي، هناك مشكلة في النص من حيث أنه لا يبين صلاح الدين محرراً، كونها لا تبين الفرنجة كمحتلين. وهذا شرط ضروري أن يكون مذكوراً في النص. نحن نقاتل الاحتلال. وهذا حق لنا أقرته الشرائع الدولية، لكن الأنشطة لم تربط الحاضر بالماضي، ولم تعطِ مجالاً للتفكير بعلاقة الحاضر بالمستقبل. الإشارة الوحيدة لربط الماضي بالحاضر هي تعيين حطين على الخارطة.

أما في قصة «الدجاجة المسحورة»، فقد كان ملاحظاً تغيير الدور النمطي للمرأة، وهذه خطوة يجب تثمينها، حيث لا تظهر المرأة أنها هي الجاهلة، وبخاصة أن هذه القصة وردت في كتب أخرى على عكس ما وردت هنا. وللحق، فإن هذه القصة ممتعة، ولذلك فهي مع وحدة أمثال شعبية ووحدة نوادر وطرائف، تشكل مادة تساعد الطفل على الانهماك في النص والتفاعل معه. وهذا شرط أساسي لتشجيع القراءة عند الأطفال. فما قيمة المعاني والقيم إذا لم يتفاعل معها الطفل ولم يدركها. لغتنا جميلة، لكن لاختيار النص دوراً رئيسياً في تذوق اللغة والشعور بجماليتها، ولذلك فإن اختيار النص – الطعم – مهم في ترغيب الطفل بالقراءة، وشده إليها.

موقف الطلبة من الكتاب:

في سؤال لـ 60 من طلبة الصف الرابع (أستخدم كلمة طلبة للدلالة على الذكور والإناث) حول رأيهم بالمنهاج، وجد غالبية الطلبة معظم مواد الكتاب سهلة وجميلة، وبخاصة القصص التي لها

علاقة بمجتمعنا، واعتبروا أن أجمل ما في الكتاب قصتا «العائلة السعيدة» و«الدجاجة المسحورة». فقصة «العائلة السعيدة» هي من الواقع الفلسطيني، وتكرس التعاون، وقصة «الدجاجة المسحورة» فيها خيال جميل، بالإضافة إلى العبرة التي يستقيها الطالب من خلال القراءة. كما أشار غالبية الطلبة إلى المتعة والفائدة التي استقوها من درس الأمثال الشعبية، وأنهم بدأوا باستخدامها في حياتهم اليومية. كما أشاروا إلى تقديرهم لدرس الطائرة الورقية الذي عبر عن جانب من حياة الأطفال في مثل عمرهم.

بالمقارنة مع العام السابق، فقد اعتبر معظم الطلبة أن الكتاب الحالي أفضل، وأبدوا تقديرهم لشرح الكلمات الصعبة التي سهلت من صعوبة النص، وجعلت النص مناسباً للفئة العمرية المستهدفة.

وبالمقارنة مع العام السابق، فقد اعتبر معظم الطلبة أن الكتاب الحالي أفضل، وأبدوا تقديرهم لشرح الكلمات الصعبة التي سهلت من صعوبة النص، وجعلت النص مناسباً للفئة العمرية المستهدفة.

وأشار بعض الطلبة إلى القصائد التي وردت في النصوص، بأنها جميلة. أما وحدات العنب، فقد كان هناك تفاوت في النظرة إليها، حيث أفاد الكثير من الطلبة أنها صعبة، وأفاد البعض أنها سهلة ومفيدة، وأنها من الواقع، لكن لم يعبر أحد عن المتعة في قراءتها على عكس الوحدات التي أشرنا إليها سابقاً. والوحدة التي كان عليها شبه إجماع بأنها غير ممتعة ومملة وصعبة، فهي وحدة صلاح الدين الأيوبي، حيث أشار الطلبة إلى صعوبة مفرداتها، وبعدها عن الواقع الفلسطيني، بالإضافة إلى طولها. واعتبرها معظم الطلبة أنها درس في التاريخ أكثر منه درس لغة. أما درس الرسول والأسيرة، فقد اعتبره البعض جزءاً من منهاج التربية الإسلامية، كما أشار بعض الطلبة إلى أن درسي القمر واللدائن أقرب إلى منهاج العلوم من منهاج اللغة العربية. «لا نشعر بأننا ندرس لغة عربية في مثل درس العنب. وفي درس صلاح الدين، نشعر أننا ندرس تربية وطنية».

وإن اعتبر كثير من الطلبة أن معظم النصوص سهلة وممتعة، فإن الكثير منهم أشاروا إلى طول بعض الدروس، وصعوبة مفرداتها، ما يؤدي إلى الملل والتثاؤب.

وعلى الرغم مما أفاد به معظم الطلبة من سهولة الكثير من النصوص ومتعة قراءتها، فإن التذمر كان واضحاً من كثرة التمرينات المرافقة للنصوص، وصعوبة المفردات في بعض الدروس، التي برأيهم لا تتناسب مع مستوى الصف الرابع. كما اعتبر البعض أن كثرة تمارين القواعد ومعاني الكلمات تصيبهم بالملل، ويوصون بالتدرج من السهل إلى الأصعب. كما يشير بعض الطلبة إلى أن التدريبات النحوية مقدمة بشكل معقد، ويجدونها صعبة. ويرى الطلبة أن التمارين بحاجة إلى تركيز أكبر.

بالنسبة للنشيد، فقد اعتبره الطلبة سهلاً وبسيطاً. وتمنى بعضهم «لو كان في الكتاب مزيداً من الشعر، فالأناشيد قليلة، ويوصون بقصائد أكثر وتعريف بالكتّاب والشعراء، وبخاصة الفلسطينيين».

كتاب الصف التاسع الأساسي:

أما كتاب المطالعة والنصوص للصف التاسع الأساسي، فيتألف من 19 وحدة هي: نور الله، والإسلام والشباب، وصباح الخير يا وطني، ووصية أم لابنتها، والطيور، وكن بلسماً، والنباتات غذاء ودواء، وعطر من الماضي، ومن دروس الحياة، وسلمة بنت دينار، ورثاء المماليك، والاجتماع الإنساني ضرورة، وأحببتك أكثر، وجائزة نوبل العالمية، وحقوق الإنسان في القانون الدولي، واليتيمة، وأدب الأمثال عند العرب، ومن أجل بيئة مأمونة، والدرس القاسي.

وتشير مقدمة كتاب الصف التاسع الأساسي، إلى المعايير التي على أساسها تم اختيار النصوص، محددةً ذلك بما يلي:

- مراعاة «طموحات التلاميذ وتطلعاتهم».
- تلبية «حاجاتهم إلى توظيف اللغة العربية في مواقف حياتهم العملية».
- مراعاة اهتمام التلاميذ.
- مناسبة النصوص لحياة الأطفال وبيئتهم.
- أهمية التذوق الجمالي للنصوص، مع تركيز على العودة للأصول.
- «الاستمتاع بما استجد من نتاج العصر».
- القيم والاتجاهات.
- الجدة والتنوع.
- التوازن المدروس بين القديم والحديث.

- البعد الجغرافي، حيث تم اختيار نصوص من أكثر من بلد عربي.
- البعد الإنساني، حيث تم اختيار نصوص من الأدب العالمي.

بالنسبة إلى أهمية مراعاة «طموحات التلاميذ وتطلعاتهم»، وتلبية «حاجاتهم إلى توظيف اللغة العربية في مواقف حياتهم العملية»، فهذا مشابه لمهارات الحياة التي ورد ذكرها في مقدمة كتاب الصف الرابع الأساسي، والتي تتجاهلها معظم النصوص المختلفة.

أما فيما يتعلق بمراعاة اهتمام التلاميذ، فهذا معيار ضروري، وذلك بسبب الفروق الفردية بين الطلاب، التي تؤدي حتماً إلى اختلاف في الاهتمامات. وعليه، فإن التركيز على نوع معين من النصوص يعني بالضرورة التمييز لصالح بعض الطلبة. وكلما تنوعت النصوص، ساعدت أكبر عدد ممكن من الأطفال على الاستمتاع بالنص. فهم المقروء مسألة مهمة، لكن الأهم من الفهم هو التفاعل مع النص وتذوق جماليته، التي هي ضرورية للترغيب بالقراءة.

وعلى الرغم من أن أحد المعايير هو الجدة والتنوع، فإن هناك تغليباً للقديم على الحديث، وعلى الإبداعات في مجال الأدب. وعلى الرغم مما نراه من تنوع من حيث الجنس الأدبي – حيث نرى المقالة والقصة القصيرة، والشعر ونماذج من القديم والجديد، ومن الأدب الفلسطيني والعربي والعالمي – فإن النصوص التي تم اختيارها للقراءة والاستماع كانت في الغالب من التراث الأدبي القديم، فهل «مكامن الجمال» لا تكون إلا في الأصول وفي «الغوص في آثار فحولها المبدعين» كما نصت عليه المقدمة؟

علينا أن نرى الاختلاف في تذوق الأدب من طفل لآخر، وربما كان الشعر الجاهلي يستهوي البعض، لكن ربما يكون الأدب الأقرب إلى بيئة الطفل وواقعه – وهو معيار ذكرته المقدمة – ما كان أقرب إلى الطفل وأكثر إمتاعاً. وللسبب نفسه، فإن التنوع مهم في اختيار النص. فبالإضافة إلى ما ورد في الكتاب من تنوع في النصوص، ما زالت هناك أجناس أدبية لم يتضمنها الكتاب، مثل أدب الرحلات، وقصص الحيوان، والسيرة الذاتية. وربما من المفيد أيضاً اختيار بعض النصوص التي تتضمن قراءة نقدية مما يقدم نموذجاً جديداً في القراءة، وفي كيفية التعامل مع النص. وأكرر هنا ما قلته حول اختيار القصائد، بحيث تكفل تقديم أنواع مختلفة من الشعر – القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، وقصيدة الشعر الحر، ما يكفل مراعاة الاختلاف في اهتمامات الأطفال وميولهم.

واختيار النصوص بطريقة تأخذ القيم التي يتوخى النص غرسها، يساعد في أن تتحول عملية القراءة نفسها إلى نشاط لتكريس القيمة، وتنتقل القيم من مدارها المقروء إلى مجالها المعاش. مثلاً، إذا كان الدرس يكرس فكرة التعاون، من الممكن أن تتم عملية القراءة نفسها بالتعاون بين الطلبة بعضهم بعضاً. كل مجموعة تأخذ جزءاً من النص، تقرأه، تناقشه وتستوعبه، ثم يجلس طالب من كل مجموعة مع واحد من طلاب المجموعات الأخرى من أجل الوصول إلى النص الكامل. أيضاً، إذا كان المطلوب هو فهم الآخر وتقبله، من المفيد اختيار أكثر من نص يعالج كل منهما الموضوع نفسه، بوجهتي نظر مختلفتين، حيث تقرأ كل مجموعة النص الخاص بها، تناقشه وتستوعبه كي تناقشه مع المجموعة الأخرى. وهنا نتعرض لموضوع مهم وهو الفرق بين الرأي والحقيقة. لكل رأيه، وعلينا أن نسمع لغيرنا، وليس رأينا دائماً صواباً وليس دائماً رأي الآخر خطأً. اختيار النص بهذه الطريقة ينقل الاهتمام من المحتوى إلى طريقة التفاعل مع المحتوى ومع الآخرين، إلى المقارنة والتحليل والبحث عن التشابه أو الاختلاف، والوصول إلى استنتاجات معينة حول الموضوع المطروح، ليس بالضرورة الفكرة الأولى التي تكونت عن النص الأول. وأذكر في هذا السياق تجربتي منذ أمد بعيد، عندما قرأت نصين عن كريستوفر كولومبس، ظهر في واحد منها أنه بطل، وفي الثاني أنه جالب التعاسة والأمراض والإبادة للسكان الأصليين في ما أصبح يسمى أمريكا. هنا يمكن أن يأخذ النشاط شكل مناقشة بين فريقين يحمل كل منهما وجهة نظر. هكذا يساعد اختيار النص على تحديد أهداف تجعل استخدام اللغة مرتبطاً بمهارات الحياة ومتطلباتها.

هنا نتعرض لموضوع مهم وهو الفرق بين الرأي والحقيقة. لكل رأيه، وعلينا أن نسمع لغيرنا، وليس رأينا دائماً صواباً وليس دائماً رأي الآخر خطأً.

ليس على النصوص أن تكون طويلة كي تكون مناسبة لدروس اللغة العربية، لأن الطول قد يبعث على الملل. كما أنه من الضروري إتمام القراءة في الحصة نفسها. النص يخدم الغرض. مثلاً، في النصوص المتعلقة بالحقائق، مثل وحدة الطيور، ووحدة النباتات غذاء ودواء، لا ضرورة لاستخدام الدرس بأكمله. يمكن أن نتناول فقرة واحدة أو اثنتين، لتحديد

الجملة الرئيسية في الفقرة، ثم الجمل التي توضح الفكرة الأساسية. وربما تستخدم الفقرة في التدريب على الفرق بين الرأي والحقيقة. كما يمكن للفقرة أن تستخدم لوضع عنوان لها إلى آخر ذلك من تدريبات. فالنص ليس بطوله، بل بالهدف الذي على أساسه تم اختياره.

قرأت النص الذي أخذ من مقدمة ابن خلدون بعنوان الاجتماع الإنساني ضرورة. وقرأت نص إبراهيم المازني بعنوان من دروس الحياة، وتساءلت وأنا أعيد القراءة، كم مرة سيعيد طلبة الصف قراءة النص كي يستوعبوا معناه، وهل فعلاً يمكن أن يقرأوه إذا لم يكن واجباً مدرسياً.

أنظر للدرس السابع «وصية أم لابنتها» وأفرح أن الكاتبة امرأة. وبالمناسبة، هذا هو النص الوحيد في الكتاب بقلم امرأة. لكن ما أن أباشر القراءة حتى تفاجئني وصية الأم لابنتها والتي تعبر عما يجب أن تكون عليه المرأة. وعندما أدرك أن الوصية جاءت في العصر الجاهلي، أتساءل، هل هذا ما نريده لفتياتنا؟ كان من المفروض أن يوضع نص آخر لتبيان الفارق بين الجاهلية والقرن الواحد والعشرين. وربما كان مفيداً أن يتم اختيار نص حديث حول موضوع دور المرأة بهدف المقارنة كما أشرنا سابقاً. وربما تخدم هذه المقارنات، وصول الأطفال إلى استنتاجات حول التغير في الأدوار عبر الزمن، واحتمالات التغيير المستقبلي. كما تخدم المقارنة، وبخاصة عندما تكون في مجموعات، الابتعاد عن الصيغ المحددة في الإجابات كما تتطلبها عادة التمارين التي تتضمنها الوحدات.

كما أن مقارنة قصة «عطر من الماضي» ليوسف الغزو، وقصة «الدرس القاسي» لأنطون تشيكوف، يمكن أن تساعد على فهم بعض مواصفات القصة القصيرة، وكيفية بنائها. يمكن مقارنة الخاتمة عند تشيكوف غير المتوقعة بالنهاية الخاصة بقصة «عطر من الماضي». وفي هذا المجال، من الضروري إبقاء النص كاملاً من أجل تحقيق الغرض. وهنا يصبح الهدف من النص أكثر من مجرد قراءة واستمتاع، بل وضع أسس مهمة للنقد الأدبي، أي للتحليل والتقييم والاستنتاج.

أما قصيدة اليتيمة، فلم أجدها يتيمة عصرها، ولكن يفيد إدراجها مع قصيدة لنزار قباني، ومقارنة الغزل في مرحلتين مختلفتين. وبهذا تتحول عملية القراءة من مجرد قراءة محتوى إلى عملية ربط وتحليل ما بين الزمنين والمكانين، واختلاف اللغة والتعابير والصور وفقاً لذلك. والشعر الغزلي يستهوي الطلاب والطالبات في مرحلة المراهقة، ومن الضروري توفير الشعر الجيد الذي يسهم في تطوير حسّهم الأدبي وتنمية ذوقهم الشعري.

وما لفت نظري مناسبة كتابة قصيدة اليتيمة، حيث تبين أن المرأة التي تتمتع بمركز عال في مجتمعها، تضع شروط زواجها. فالأميرة دعد، وهي نجدية، كانت شاعرة بارعة، ولذلك رفضت أن تتزوج إلا بمن يفوقها شاعرية. فنظم شاعر تهامي قصيدة اليتيمة، لكنه أطلعها على شاعر آخر الذي أعجب بالقصيدة، فقتل التهامي وحمل القصيدة معه إلى الأميرة. لكن الأميرة عرفت من خلال القصيدة أن كاتبها تهامي، بينما لهجة الشاعر ليست تهامية.

مـــا أن أباشر القراءة حتى تفاجئني وصية الأم لابنتها والتي تعبر عما يجب أن تكون عليه المرأة. وعندما أدرك أن الوصية جاءت في العصر الجاهلي، أتساءل، هل هذا ما نريده لفتياتنا؟

ويمكن استخدام المناسبة لنقاش مدى تأثير الوضع الاجتماعي على شروط الزواج وتطور طقوس الزواج من الماضي حتى الآن، وما هي التوقعات في المستقبل.

في الكتاب نصوص جيدة، يمكن تطويعها لتحقيق مهارات الحياة الضرورية. وكل نص في اختياره يجب أن يكون الهدف واضحاً منه. ولكن الأهم من كل ذلك، أن تكون نوعية النصوص على مستوى ممتاز من حيث النوعية. علينا أن نقدم الأفضل للطفل لأنه بغير ذلك، لن يرغب في القراءة، وستظل النصوص واجباً مدرسياً لا أكثر. حق الأطفال علينا أن نقدم لهم الأفضل لأنهم الأفضل، ولأنهم المستقبل، ولأن ما يعطى لهم سيترك أثراً كبيراً على شخصيتهم، أكان ذلك سلباً أم إيجاباً. من الضروري، أن يخاطب النص حاجة عند الطفل، وأن يثير اهتمامه، ويدفعه إلى مواصلة القراءة. لذلك من الضروري مراقبة تفاعل الطفل مع النص.

وفي حال تعديل كتب القراءة كما نصت المقدمة، اقترح أن يزيد عدد النصوص التي كتبتها نساء فلسطينيات أو عربيات أو كاتبات عالميات. وأذكر في هذا السياق الكاتبات العربيات اللواتي لا تتردد أسماؤهن عندنا مثل الشاعرات فوزية السندي، ونجاة العدواني، وفوزية شاويش السالم، والكاتبة العالمية فيسوافا شيمبورسكا في كتابها المترجم للعربية بعنوان الشعر والعالم.

وأرجو أن تتضمن الكتب قصائد لشعراء عرب مهمين مثل سعدي يوسف، وشوقي بزيع، وربما يكون ديوان أحمد دحبور كسور عشرية مناسباً للمرحلة الإعدادية، وبعض قصائد محمود درويش الأولى. كما أن كتاب غسان كنفاني فارس فارس يشكل مصدراً مهماً لمراجعة كتب أو قراءات نقدية. وهناك بعض الكتب الصادرة في فلسطين للفتيان التي من الممكن أن يتم اقتطاف بعضها لتوضع في كتب القراءة والنصوص للمراحل المختلفة؛ مثل: أناشيد أطفال فلسطين (اتحاد الكتاب)، فلسطيني على الطريق (مؤسسة تامر).

وهناك قصص جميلة يمكن الإفادة منها مثل أيلول بلا مطر؛ وهي مجموعة قصص قصيرة ترجمها جبرا إبراهيم جبرا وقدم لها. والبئر الأولى التي تتضمن مجموعة من المفارقات والمغامرات التي تستهوي الأطفال.

هذه بعض الأمثلة القليلة التي تحضرني، وأنا أكتب هذه المقالة، لما يمكن الإفادة منه في وضع نصوص جيدة. وعلينا أن نتذكر أن النصوص المتعلقة بالطيور يمكن أن يتم تناولها ضمن حصص العلوم، لكن في حصص القراءة، تستخدم بعض الفقرات لتعويد الطفل على مهارات قراءة مثل هذا النص. وأعود لأكرر، الأدب الجيد هو الطريق إلى بناء شخصية متوازنة.

موقف الطلبة من الكتاب:

ومن أجل أن نتوخى الموضوعية، فقد توجهت لـ 23 طالبة من طالبات الصف التاسع لمعرفة رأيهن في النصوص المنتقاة. وقد جاءت تعليقاتهن لتؤكد ما جاء في هذه المقالة، حيث تأتي القصص والقصائد في المرتبة الأولى من حيث التفضيل، وهناك طلب على المزيد من القصائد الممتعة والقصص المشوقة، بخاصة الفلسطينية، ومعلومات عن الكتاب الفلسطينيين. كما عبرت الطالبات عن استمتاعهن بقراءة ما تم إدراجه تحت بند اقرأ واستمتع في آخر كل درس، مقابل عدم رضاهن عن طول النصوص التي تشكل أساس الوحدات. كما عبرن عن الحاجة إلى تبسيط المنهاج، وعدم إعطاء ثقل للنصوص التي لها مضامين علمية، وبخاصة أن معظم هذه الدروس هي جزء من منهاج العلوم في صفوف لاحقة. وأشارت الطالبات إلى أن هذه الدروس تستنزف المعلمة، وتستهلك الوقت كي يتمكن الطلبة من استيعابها، الأمر الذي يحوّل بعض الحصص إلى دروس في العلوم.

وكان لافتاً للنظر أن الكثير من طالبات الصف التاسع اعتبرن درس «وصية أم» سيئاً لأنه ينظر إلى المرأة بتقليدية عالية. وليست هذه صورة المرأة التي نريد في عصرنا الحديث. وللحقيقة، فقد دهشت وسعدت عندما وجدت أن معظم الفتيات في الصف التاسع كن من هذا الموقف، الأمر الذي يكشف عن موقف ناقد يتعدى مستوى النص.

وطالبت غالبية الطالبات باختصار التمارين، وعدم تكرارها. كما أشرن إلى طول الوحدات، وتكرار الأسئلة، ما جعلها مملة في كثير من الأحيان.

كان لافتاً للنظر أن الكثير من طالبات الصف التاسع اعتبرن درس «وصية أم» سيئاً لأنه ينظر إلى المرأة بتقليدية عالية. وليست هذه صورة المرأة التي نريد في عصرنا الحديث.

هنا يطرح سؤال نفسه، إذا كان الهدف هو مهارات الحياة لمواكبة التغيير، فربما كان من المفيد أن يراعى في اختيار النصوص إمكانية استخدامها للتدريب على مهارات الحياة، وأن تتضمن التمارين والأنشطة المرافقة تدريبات على هذه المهارات. وإذا كان الانطلاق في الاختيار هو الطفل نفسه، فعلينا أن نفكر بحاجات الطفل واهتماماته، وقدراته. وعلى سبيل المثال، ربما كان مفيداً أن يراعي انتقاء المحتوى، والأنشطة المتعلقة بالوحدة، ما يخاطب حاجة عند الطفل في مثل هذا العمر، مثل الانتماء للأصدقاء، وكيفية مواجهة الضغوطات التي يفرضها عليه هذا الانتماء، مثل قول لا عندما يتطلب الأمر ذلك، وغير ذلك من حاجات الطفل في هذه المرحلة العمرية.

في الختام، أتأمل أن تفسح وزارة التربية والتعليم العالي مجالاً للطلبة للتعبير عن رأي صريح في النصوص وفي التمارين المرافقة، وأن يكون لرأيهم دور فاعل في التطوير. وأرجو أن تكون هذه المراجعة بما عبرت عنه من وجهات نظر، مفيدة في تطوير الكتاب المدرسي وجعله أكثر متعة وأكثر حميمية من الطفل الفلسطيني، أكان في الصف الرابع أم في الصف التاسع.

روز شوملي مصلح – شاعرة وكاتبة تقيم في رام الله